العدد (1820) السنة السابعة - الأحد (13) حزيران 2010 ◆ http://www.almadapaper.com - E-mail: almada@almadapaper.com

لا يخفى على أحد أن النظام الديكتاتوري السابق دخل في حروب حمقاء لم يجن منها البلد غير الدمار، ومن مخلّفات تلك الحروب فضلا عن مخلّفات حرب التغيير التي أطاحت بالنظام المباد ملايين الألغام التي باتت مصدرا لذبح الأبرياء لا يقلّ شأنا بتأثيره عن الإرهاب وما يشكله من خطورة على الوطن والمواطن.
في أثناء تجواله قرب مزرعته التي كان يعمل فيها في مدينة البصرة الواقعة جنوب بغداد قبل ثلاثة عشر عاما، فقد «أبو مروان» إحدى ساقيه إضافة إلى اختراق عدد من الشظايا أحشاءه، يقول أبو مروان: من يوم إصابتي بانفجار لغم لا أعلم كيف دخل مزرعتي، فقدت القدرة على العمل، ولم أجد الرعاية الكاملة من الحكومة.
ويضيف أبو مروان: صرت اليوم أتحمل أخطاء الحكام وأتحمل مسؤولية الحياة والمعيشة، فضلا عن تحمل مصاريف علاج ابنتي المعاقة التي أصيبت بانفجار مشابه، حيث كنت أعيش في تلك المنطقة والآن تبلغ ٢٣ عاما، وفقدت بالإضافة إلى يدها وساقها أذنها اليسرى وهي مشوهة، ودائما تتذكر الانفجار وتقول: تحولت من بشر الى عصفور طائر بسبب الانفجار، وبعد لحظات وجدت نفسي أشبه الأفعى، لأنني لا أقوى على السير وأزحف على الأرض فقط.

إعداد: إيناس طارق ..... تصوير: مهدي الخالدي

ربع ألغام العالم في العراق

مخلّفات الحروب السابقة قنابل موقوتة تصطاد أرواح الأبرياء

إحصائيات رسمية

وفي بيان أصدرته الأمم المتحدة بمناسبة اليوم العالمي للتوعية بمخاطر الألغام بينت المنظمة أنه على مدى عقود من الحروب والصراعات الداخلية أصبح العراق مكسواً بالألغام الأرضية والذخائر غير المنفجرة، ونفايات الأسلحة الأخرى،وأكد البيان أن ٩٩٪ من ضحايا الألغام هم مدنيون، وأن غالبيتهم من الأطفال دون سن ١٤ سنة، بينما تشير التقارير التي أعدتها منظمات دولية الى أن غالبية الألغام الأرضية مزروعة على شكل حقول عشوائية تتركز في مدن جنوب العراق وشماله، وأن اللغم المعروف (P.M.N) هو من أخطر أنواع الألغام المزروعة والذي يتسبب بقتل أو إعاقة من يلمسه.
يقول علي الدباغ الناطق باسم الحكومة في مؤتمر عقد في وقت سابق عن الألغام في العراق ((إن عدد الألغام المكتشفة في العراق وصل الى ٢٥ مليون لغم توزعت في ١٥ محافظة امتازت بالكثافة السكانية)).
وأشارت الهيئة المختصة بشؤون الألغام إلى وجود أكثر من ٦٠٠٠٠٠ طن من الألغام والأعتدة المنتشرة في ١٧ محافظة والتي تجب إزالتها، لكن هذه العمليات ستتطلب سنوات عديدة من أجل تنفيذها.
وتشير الهيئة الى أنه على إثر العمليات العسكرية وغياب سلطة الدولة في عام ٢٠٠٣ نهب أغلب المخازن العسكرية التابعة للقوات المسلحة العراقية، وصارت القذائف والصواريخ في متناول الجميع، وتقوم الأجهزة الأمنية الحالية بالكشف عن أكداس من الأعتدة بين فترة وأخرى في أيدي الجماعات المسلحة.

الطب النفسي

يقول الدكتور محمد: إن حالات كثيرة تحصل الآن بسبب عمليات التفجيرات الإرهابية اليومية، لأن الأشخاص يصابون بإعاقة دائمة وانهيارات عصبية بسبب هول الصدمة والمشاهد المرعبة التي يشاهدونها في أثناء الحادث من تطاير أشلاء البشر وانتشار بقع الدم في كل مكان.
ويسترسل محمد قائلا: إن تردي الأوضاع الأمنية في المدن العراقية دفع بالأهالي إلى اقتناء الأسلحة الخفيفة في منازلهم لتوفير الحماية الذاتية من السرقات والجماعات المسلحة المختلفة والمنتشرة بين المدنيين، ومع الأسف لم تهتمّ الحكومة بإجراء مسح او منح تراخيص خاصة بحيازة تلك الأسلحة.

حالات مختلفة

أم سرمد (٥٠ عاما) تسكن حي الشعب شمال شرقي بغداد، أصيبت في ظهرها منذ عدة أشهر برصاصة نزلت من السماء، تقول: كنت على سطح المنزل أنشر الغسيل، شعرت بحرارة ووخزة في ظهري وسال الدم بشدة.
وتضيف أم سرمد: إن السلاح في بيوت الجميع، وقد تكون له فائدة في أن يحمي الناس أنفسهم من المجرمين، لكنه أيضا يتم استخدامه بشكل سيء في الاحتفالات والمناسبات ويطلق الجميع العيارات النارية في الهواء لتسقط بعد ذلك على أجسادنا.

إحصائيات كاملة

ولا تتوفر لدى الحكومة العراقية إحصائيات كاملة لعدد المعاقين في العراق، كما تفتقر مراكز الرعاية الخاصة لفاقدي الأعضاء على قلتها إلى مستلزمات المعاقين، وهذا ما يدفع بالمصابين الى اللجوء الى أعمال التسول في الطرقات، لما لهم من صورة تستجلب العطف ولعدم قدرتهم على ممارسة مهن طبيعية، وتبقى دوامة الحروب التي ترافق العراق كل عقد من السنين تخرج أعدادا جديدة من المقتولين والمعاقين.

الحرب في العراق

إن ما مرّ على العراق من حروب خلّف أضرارا وخسائر بشرية ومادية بالغة، وفي كل مفاصل الحياة حتى باتت تشكل تهديدا حقيقيا على الجنس البشري،كما أن هذه الأرض قد وقعت عليها مصائب القنابل بشكل هو الأكبر في تاريخ الحروب، إذ لم تشهد أي دولة في العالم سقوط هذا العدد من الصواريخ والقنابل او الذخائر العسكرية على أرضها.
ويتضح ذلك جليا من مخلفات الحرب التي تلت تلك الفترة.خاصة بعد رجوع المدنيين الى مدنهم والتي كانت فيما مضى ساحة للقتال،أو كما يعبر عنها بالمناطق الساخنة، إضافة الى أن الولايات المتحدة لم تلتزم في معركتها بالقوانين الدولية او الأعراف الخاصة بقوانين حقوق الإنسان، ولم تأبه لحياة المواطن والمدني الأعزل.
فكان وبال العسكرة ومخلفات الجيوش أكثر من خطر المعركة ذاتها، إذ تشير تقارير عراقية ودولية الى وجود بؤر كبيرة في العراق تحتوي على ألغام وموادّ متفجرة ومشعة، في الوقت الذي تتسبب فيه بكارثة يومية يرزح تحت طائلتها الفرد المدني العراقي وخصوصا الأطفال، وذلك لجهلهم الكامل وعدم وعيهم بهذه الأجسام الغريبة.
وهناك تقارير للأمم المتحدة تشير الى أن العراقيين يعيشون وسط واحد من أكبر تجمعات الألغام الأرضية والذخائر غير المتفجرة وغيرها من المتفجرات من مخلفات الحرب في العالم.

بيان الأمم المتحدة

وفي بيان لمنظمة الأمم المتحدة للطفولة (اليونسيف)، برنامج الأمم المتحدة الإنمائي بمناسبة الاحتفال باليوم الدولي للتوعية بالألغام والمساعدة في الإجراءات المتعلقة بها، هناك تأكيد لأن العراقيين يعيشون وسط واحد من أكبر تجمعات الألغام الأرضية والذخائر غير المتفجرة وغيرها من المتفجرات من مخلفات الحرب في العالم.
كذلك أكد التقرير أنه تم تحديد ٤٠٠٠ منطقة متضررة في مسح عام ٢٠٠٦ لأثر الألغام الأرضية، وأن التلوث من المتفجرات من مخلفات الحرب في العراق أصبح الآن منتشرا الى درجة أن بعض برامج التنمية تتعثر بسببه، لافتا الى أن القنابل العنقودية تعتبر مسألة ملحة على وجه الخصوص.
كذلك يشير التقرير الى أن الأطفال العراقيين يعيشون في خطر كبير بسبب الذخائر غير المنفجرة التي يمكن أن يعتبروها أجساما غير مؤذية يمكن اللهو بها،مشيرا الى أن ربع ضحايا الذخائر المنفجرة عام ٢٠٠٦ يبلغ عددهم ٥٦٥ ضحية من الأطفال تحت سن الثامنة عشرة.
كذلك يشير البيان إلى أنه ومنذ عام ٢٠٠٥ تمكنت المشاريع المدعومة من الأمم المتحدة من تطهير ١٢٤ مليون متر مربع في جنوب العراق، وإتلاف ١٠٥٢٢١ جسما من الأجسام المتفجرة بما في ذلك ١٥٧٩٣ عتادا من الذخائر العنقودية.

مطالبات دولية

ودعا عدد من المسؤولين الحكوميين المجتمع الدولي والحكومة العراقية إلى بذل الجهود من أجل إزالة الألغام من العراق، مشيرين الى أن العراق يحتوي على ربع الألغام المزروعة في العالم.وفي تصريح سابق لوزيرة البيئة نرمين عثمان كشفت عن حجم التلوث الذي يعاني منه العراق نتيجة انتشار الألغام بالعراق.
أما ستيفان دي مستورا ممثل الأمين العام للأمم المتحدة في العراق فقد أوضح أن ما يقرب من ٨٥٠ كم من أراضي العراق ملوث بالألغام، إضافة الى ٩٠٪ من المناطق الزراعية توجد فيها ألغام .

مطالبة المعاقين

كذلك طالب عدد من المعاقين والناشطين العراقيين بتوفير الرعاية وإيجاد موارد مادية لمن بترت أعضاؤهم وباتوا غير قادرين على العمل إثر تعرضهم لانفجارات الألغام الأرضية، داعين الى بذل المزيد من الجهود من أجل إزالة الألغام من العراق.

وأخيرا

نتمنى العمل الجدي على إزالة تلك الألغام التي لا ترحم طفلا ولا شيخا ولا امرأة، فهناك الكثير من الأماكن مازالت متروكة، وهي مزروعة بعشرات القنابل التي لم تنفجر، خلّفتها الحروب الصدامية، إذن الأمر يحتاج الى متابعة ومعالجة لإزالتها، لا أن تترك لحصد المزيد من أعضاء البشر ونثر الدماء.

مهنة التمريض كانت وما تزال "ملائكية"!

ممرضات: الأعراف العشائرية والبقاء حتى ساعات متأخرة من الليل سبب النظرة غير المنصفة إلى عملنا

□ إقبال محمد- وائل نعمة
تصوير / سعدالله الخالدي

مهنة قديمة نشأت من الحس الغريزي الطبيعي لحماية الأسرة ورعايتها كرعاية الأم لوليدها، ومساعدة المرأة للمرأة في حالات الولادة، هذه الأمور وجدت قبل أن يُعرف الطب. والتمريض مهنة إنسانية وأخلاقية تعتمد على العلم والمعرفة،وعلى الرغم من أهدافها النبيلة، إلا أن ممارستها قد تغيرت مع تغير المجتمعات وتطور الطب، حتى نشأ التمريض كمهنة لها أصولها ودرجاتها العلمية ولا يمكن الاستغناء عنها في أي مجتمع، ولا يمكن ممارسة الطب من دونها في أي وقت. وهي من أكثر المهن شيوعاً بين النساء، حتى أن كلمة ممرضة أصبحت تعني مهنة خاصة بالنساء في أغلب الأحيان، ومن السهولة تعلم تلك المهنة ولكن من الصعوبة الإجادة فيها، كما يكرس العاملون في مجال التمريض طاقاتهم من أجل خدمة كل فرد من دون تمييز، ونظرا لما تتحلى به هذه المهنة من أخلاقيات فهناك مواصفات خاصة يجب أن تتوفر لها كالتسامح والصدق والصبر والإيثار والانفتاح على أصحاب المهن الأخرى في المجال الصحي نفسه، لأن روح التعاون هي مركز قوة يصبّ في مصلحة المريض.
بدأت كل المؤشرات الحديثة والتقارير الدولية الصادرة عن منظمات الصحة العالمية والمنظمات الإنسانية الأخرى، تؤكد على وجود مشكلة او خلل في هذا المفصل الحيوي وتراجعه في بعض المؤسسات الصحية، هذا مما يؤثر بشكل سلبي على مستوى سير الخدمات وديمومتها في المجال الصحي، حيث يرجع البعض أسباب التخلف في هذه المهنة الى هجرة هذه الملاكات الى دول أخرى، بسبب قلة الأجور او الظروف الأمنية غير المستقرة، فضلا عن وجود عوائق اجتماعية ذات نزعة متخلفة من خلال النظر الى مهنة التمريض والمهن المقاربة لها بنظرة دونية او غير مهمة، هذا مما يستدعي منا وضع أناس غير جديرين بالعمل في هذه المهن، وهذا الوضع جاء نتيجة وضع اجتماعي معين يتحاشى أن تباشر النساء العمل بجانب عالم الرجال من الأطباء والمرضى.

عوامل مشجعة

مدير عام صحة بابل الدكتور محمود عبد الرضا أشار الى أن التمريض مهنة إنسانية، وهي الجزء الفعّال في العملية الصحية كونها تعد المكمل للجهد الطبي الذي يبذل من أجل سلامة المرضى وشفائهم، مؤكدا أن دائرة الصحة تعمل على تشجيع انخراط المرأة في مهنة التمريض من خلال فتح المدارس الخاصة بالتمريض وتذليل كل الصعوبات بهدف تيسير عملية الدراسة فيها.
فيما يقول الدكتور فالح الساعدي « إن النظرة الخاطئة لهذه المهنة لدى المجتمع(النسوي) تتراجع منذ بداية التسعينيات منذ القرن الماضي، بسبب توجه الدولة إلى النهوض بمستوى الخدمات الطبية في جميع القطاعات ومنها مجال التمريض الذي يقوم بدور حيوي وبارز في تطوير المجال الطبي، مؤكداً أن الكثير من الأسر العراقية باتت تدرك أهمية هذه المهنة ودورها الإنساني المهم، فلم يعد هناك رفض مجتمعي لهذه المهنة بشكل عام.. ولكن المفاهيم القديمة موجودة أيضاً.. لذلك تسعى الدولة الى تغيير المفاهيم الخاطئة من خلال توفير البرامج التعليمية المتميزة والارتقاء بالوضع المهني والمادي لهذه الشريحة.. فالمجال الصحي يعتمد بشكل أساسي على المرأة خاصة مهنة التمريض.. لذلك أطلق على الممرضات منذ سنوات طويلة (ملائكة الرحمة)، وهنا لابد من أن أشير الى أن المرأة العراقية أثبتت جدارتها وفرضت على المجتمع احترام تلك المهنة السامية... فالمؤسسات الصحية في العراق الجديد في توسع وتزايد مستمر، وينبغي لوزارة الصحة التوسع في قبول الطالبات في مدارس التمريض فضلاً عن زيادة عدد هذه المدارس في بغداد والمحافظات مع إعطاء حوافز مستمرة لحين تخرج الطالبات، وأيضا مع ضمان تعيين المتخرّجات من هذه المدارس»

فتح الأبواب أمام النساء

ويَعدّ الدكتور سلام سالم التمريض من المفاصل الأساسية في وزارة الصحة، ويقول بأن تطوره ينعكس إيجابياً على مستوى ونوعية الخدمات الطبية والصحية المقدمة للمواطن، وهذا ما نلمسه في عملنا اليومي. ويضيف قائلا: «وجود الممرضات شيء مهم بالنسبة لجميع المستشفيات، ليس في العراق فحسب، بل هو مبدأ معمول به في جميع دول العالم، واستذكر الدكتور سلام جانبا من تاريخ التمريض في العراق، خصوصاً فترة الستينيات، حيث كان للتمريض دور بارز وواضح مع رؤية إيجابية للمجتمع لهذه المهنة، لكن ومع الأسف ومع مرور الزمن نلاحظ أن هناك عزوفا كبيرا من قبل النساء عن العمل في هذه المهنة الإنسانية النبيلة، وباختصار شديد، هي مهنة تتراوح ما بين تحفظ المجتمع والعمل الإنساني، وإذا بقي الوضع على هذه الحالة.. فإن مهنة التمريض سوف تنقرض، وبالتالي ينعكس ذلك على مجمل المسيرة الصحية».
ويؤكد على حاجة المؤسسات الصحية الى العناصر التمريضية، منوّهاً بفتح أبواب التقديم أمام النساء للعمل من خلال التقديم إلى إعداديات التمريض والقبالة والتوليد، ولأعمار تنحصر بين ١٥. ٤٠ سنة، خصوصا لشريحة النساء، حيث يتم منحهن مخصصات شهرية مقدارها ٥٠ ألف دينار خلال مدة الدراسة، ويكون التعيين إلزاميا من قبل الوزارة ومؤسساتها الصحية، بغية سدّ النقص الحاصل في الكوادر التمريضية النسوية وتوفير فرص عمل مناسبة للنساء والعاطلات خصوصا.

عملي حفظ كرامتي

تقول «هدى»، التي تعمل ممرضة منذ ٢٠ عاما، وتعمل في مستشفى العلوية، انها زاولت هذه المهنة منذ ثمانينيات القرن الماضي، وانها وجدت صعوبة ومعارضة قوية من قبل الأهل والأقرباء، ولكن إصرارها على العمل لإثبات وجودها وشخصيتها أرغم الجميع على الموافقة بعد طول معارضة ونزاع وخلاف، مشيرة الى زواجها بعد فترة من عملها في سلك التمريض من موظف يعمل في المستشفى الذي تعمل فيه، واستمرارها في العمل لمدة عشر سنوات مع زوجها دون عوائق او مشاكل تذكر.
وتضيف المرضة هدى، أن وفاة زوجها بشكل مفاجيء أثقل كاهلها وأضاف همّا كبيرا ومسؤولية عظيمة عليها كونها أمّاً لأربعة أطفال بحاجة الى الغذاء والدواء والدراسة، مشيرة الى أنها استطاعت أن تثبت في وجه الريح العاصفة التي هبت عليها من قبل الأهل والأقارب والجيران الذين طالبوها بترك العمل والزواج من شخص غريب عن أولادها بحجة المحافظة على كيان العائلة وشرفها لكونها تعمل ممرضة، حيث تمكنت من خلال عملي أن أوفر جميع الاحتياجات الضرورية لأسرتي، وأن أوصلهم الى مراحل دراسية متقدمة، حيث اعترف الأهل أخيرا بصحة قراري واختياري للمهنة الشريفة.

نحن في عصر التكنولوجيا!

فيما تقول «إيمان هادي» ممرضة أيضا: لقد دخلت هذه المهنة بدافع إنساني، وعلى المجتمع أن يعرف أهمية هذا الدافع، مطالبة في الوقت ذاته الدولة وكل الجهات المسؤولة بضرورة توفير الامتيازات اللازمة لتحفيز المرأة العراقية على الانخراط في مهنة التمريض.. «حنين محمود» ممرضة تقول: إن النساء شاركن مع المسلمين في غزواتهم، وكنّ يضمدن الجرحى ويقمن بالإسعافات لهم في أثناء الحروب.. فكانت أول ممرضة في الإسلام هي «رفيدة الأسلمية»، وتساءلت عن هذه النظرة الخاطئة إزاء مهنة التمريض واعتبارها مهنة غير لائقة.. وقالت: إنني أدعو الذين لديهم مثل هذه النظرة الى أن يغيروها، لاسيما أننا نعيش عصر التطور والتكنولوجيا... طالبة أخرى رفضت الإفصاح عن اسمها قالت: هناك اشمئزاز لدى بعض الناس من العمل كممرضة، برغم أنني أحب هذه المهنة وذلك لإنسانيتها وقربها من تحصيل الثواب.. فعلى الجهات المسؤولة عمل كل شيء من أجل جذب هذه الفئة إلى العمل في المستشفيات وتحت مسميات أخرى، مع مراعاة الحوافز والراتب لكي يكون ذلك حافزاً لكسر هذا الطوق.

أصبحت ثريّة من المهنة!

فيما تعبّر الممرضة سجى، ٣٢ عاما، العاملة في مستشفى اليرموك، عن تأسفها وانتقادها للعادات البالية والمتخلفة المتغلغلة في ذهن البعض، كونهم يعدّون الممرضة أقل شأنا من غيرها، ولا يتقدمون للزواج منها خوفا من انتقاد البعض من الجهلاء لهم، مؤكدة أن اختيارها لهذه المهنة كان بسبب الظروف الاقتصادية الصعبة التي كانت تعاني منها أسرتها، نظرا لفقدانها أخويها في الحرب العراقية. الإيرانية التي اندلعت بداية الثمانينيات من القرن الماضي، وكونها الشخص الأكبر في الأسرة مما اضطرّها إلى العمل لتوفير قوت عيالها.
وتشير الى أنها استطاعت، خلال الفترة الماضية وبعد زواج إخوتها، تكوين ثروة مالية لا بأس بها، تضمنت شراء منزل خاص بها وبأمها العجوز، فضلا عن امتلاكها لسيارة خاصة، وأن أمورها تسير بشكل جيد برغم انتقاد أقاربها وجيرانها لها بسبب المهنة التي تزاولها، مشددة على أهمية احترام خصوصية المرأة واختياراتها المهنية وقراراتها وعدم الوقوف بوجهها طالما أنها تعمل وفق القانون والشرع.

المجتمع الذكوري

ويشاطر الممرض «علاء كريم» زميلته في المهنة رأيها، مؤكدا أن المجتمع لا يرحم المرأة، وأحيانا يقف مانعا في وجه اختياراتها وإرادتها، متسائلا عن السبب الحقيقي الكامن وراء ذلك، هل هو حقا سبب أخلاقي وديني؟ أم أن الأمر يتعلق بحرية المرأة وتصميم الرجل الشرقي على استبعادها؟
ويجيب على سؤاله مؤكدا أن السبب هو أنانية الرجل واحتكاره لحرية المرأة، حيث إن العمل لا يعدّ خرقا، وإنه شرف وتحقيق لذات الرجل و المرأة و يجلب الاحترام من قبل الآخرين. ويشير قائلا « إن مهنة التمريض كانت وما زالت مهنة سامية تحمل معاني إنسانية قبل أن تكون مهنة لكسب لقمة العيش، مبينا أهميتها الكبيرة من خلال رعاية المريض نفسيا وجسديا واجتماعيا، وتساعده على العودة إلى حياته الطبيعية ليكون عضوا نافعا لأسرته والمجتمع، وأن مزاولة مهنة التمريض بشكل علمي وفني صحيح يحتاج الى دراسات ومقومات فنية واستعداد نفسي وروحي لدى المرأة والرجل على السواء للعمل في مجالاتها المتنوعة.

العرف العشائري

ويذكر «غازي شريف» (مدرس) ٥٧ سنة، أن عزوف البعض عن مهنة التمريض قد يعود الى مسألة العرف العشائري الذي نبذ هذه المهنة الشريفة بسبب العمل بنظام الخفارات والمبيت في المستشفى.
وتشير «أمل علي كاظم» (موظفة) إلى أن سبب عزوف الفتيات عن العمل في مهنة التمريض هو وجود فرص عمل في الدولة فيها امتيازات أعلى من هذه المهنة، فالفتاة العراقية لديها طموح أكبر مما توفره لها شهادة الإعدادية.. وبالتالي أصبحت وظيفة الممرضة لا تلبي طموح جيل اليوم.. لذا أناشد وزارة الصحة برعاية مدارس التمريض من خلال الامتيازات.